مكة المكرمة (*)

« والجرائد العربية »

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومركزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعه موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الاسلامية كلها

نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا نتأثر من الذل الذي يلحق اخواننا في بخارى ؟ لماذا نظل فاقدي الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش؟

ألم يكفنا أننا تسفلنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالتعلل بلفظ « لا يصير » و « ما يمشينا » ؟

ألم يكف بأننا قد جعلنا تحت الارض قيد الذل والاسر مئات الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضغطية الموجود فيها إخواننا المسلمون في أوستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخمينا ومجاورينا الايرانيين ؟ أو على الملم بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القريميين؟ أوسياسة الصربيين؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لنترك هؤلاء أيضا . هل تدرعنا لانقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلغار من الجهل المخيم عليها منذ قرون ؟

أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما تحار له عقول ذوي العقول؟

أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الحيرة ؟

(*) مقال لمحمد عالم افندي من كتاب الترك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التي تصدر في الاستانة وقد نشر مترجما في مجلة النراس وخصته جريدة الفيد وعنها أخذنا

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العداء من لسان الاوداء، لا من لسان الاعداء ، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللئيمة : « أي شيء رقاه المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به؟»

هنا يتهافت اخواننا و بنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيعلقون باشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقي الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاهة الموجودة عندنا هي من الغرابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعا للتمدن الأوربي الحالي ومصدرا للعلم الحاضر ، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم؟ فما هذا التناقض!

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقي ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يتبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكين للعلاء

نعم نحن نعترف بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخرية ، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوهها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم

والارتقاء استنادا على جعل بنيه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فاذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجتهد بازالة كربه ، فاننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة

واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ والنصح ويطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية

ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضا وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شئون اخوانهم النائين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فاذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون ويتباحثون فيما

يعود عليهم بالنفع ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسيرون عليها سعيا وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بامام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما - الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين. الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في طنجه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القزان يشعر به « محمد » في الترنسفال

أيها القوم ! أليس من الاسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد اداء الصلوات الخمس فضلا عن اداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على اننا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الجامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لا نهتم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكر به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقه ، كلنا نتمنى ان ترى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحمى ، منيعة الجانب مرهوبة الشباة لكن يا ترى لماذا لا تتذرع بالوسائل التي تقوي العنصر الاصلي للاسلام « وهو العنصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ! ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بانشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعمم

اللسان الفرنسوي يعده الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يعده المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم — اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربي اجنبيا ؟ — وعليه فأي شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام باداته

انا وايم الله لنأسف كل الاسف لاننا لم نتذرع حتى الآن بشيء من هذا القبيل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا تحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نعقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان نعقدها ؟

انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن أن يتخذ مركزا وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الغراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئا ؟ اننا مع الاسف لم نعمل شيئا حتى الآن لكن مادامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطة هي احسن وسيلة للوصول الى ما نرمي اليه

واأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء ترامم بسبب سزية جهلهم وسيئة عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف

ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشاكل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم ما الذي صنعناه نحن ؟ اننا الى الآن لم نقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل اننا نحن الى الآن لم نقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالا مباحا طمعا بسلب ثلاث أو خمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركا

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي بيد ان الذي يجدي هو أن نجد ونجتهد لكي نجعله ماضيا و بعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي

اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان ننهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . . . لان . . . . الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأبى ان تغلب انما تنالها بتلك الارجاء

يجب علينا ان نجعل لتلك الارجاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارجاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية

يجب ان تُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارجاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا (المدارس) في تلك الارجاء

يجب ان توزع من تلك الارجاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم

يجب ان نجعل تلك الارجاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه رأى الممالك الاسلامية و يعتقد بانه اطلع على زبدة آمال الامة

يجب ان يقتنع المسلم الذي يجب الوقوف على الشئون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفا على انموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هداتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة . يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز ديانتنا

اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا باتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

ربما يتخيل بعض الناس ان اتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن أن المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الأرباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبلة المسلمين في جميع أرجاء الارض

وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر أولياء الامور واولو الشأن وارباب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة فلا اشك في انهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي نالها

اليس الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجريها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الغيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة؟ اليس من الواجب ان لا يحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل

ايها القوم ! علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والايرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والاتراك ، والاكراد واللازيين ، والالبانيين ، والجراكسة — كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقيين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم ! ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم أجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تغتفر بوجه من الوجوه

ايها القوم ! لماذا التقاعس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة وتجعلهم متمدنين ؟ ألسنا من بني الانسان !

ايها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المغشية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تجد وتجتهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها

ايها القوم ! انا نسمع الذين يلقبون بلقب (لورد) او (موسيو) يأسفون لوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الذل ؟ وما هذا العار ؟ افلا

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)

ايها المسلمون ! يجب ان تفقهوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير والسلام على من اتبع الهدى اه

(المنار) طرقنا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام القيام بالاصلاح المطلوب فاننا كنا على قلة ما نعلم من سيئات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن مغترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المنفذون ، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال ، الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟؟